الاوروبيون يطلقون لفظ الاسلام علي كل ما هو عربي. اما عن الموقف من اطماع فرنسا فان وليام بيل — بعد أن أمضى فترة من الوقت في الشرق — فطن الى أن « البريطانيين يعملون بطريقة من شأنها الاضرار بمصالح فرنسا في فلسطين وسوريا»(تقرير رقم ٣١). وكانت بريطانيا تعتقد انها قد تصبح مضطرة الى التسليم لفرنسا باحتلال سوريا وعندئذ فلا معدى من اقامة دولة حاجزة بين المصالح الفرنسية في سوريا والمصالح البريطانية في مصر ، باستخدام الاهمية الدينية للاماكن المقدسة في فلسطين كذريعة لابعاد السيطرة الفرنسية عنها كخطوة أولى ، ثم العمل على انشاء دولة في فلسطين تنمو لتصبح فيما بعد دولة يهودية صرفة ، مما يؤدي الى ادخال عنصر جديد في الشرق ودولة اخرى تواجه قوة الاسلام (يقصد ولا شك القومية العربية) ، دولة تحمي قناة السويس ، ويسكنها « شعب مدين لبريطانيا بدين ابدي » (تقرير رقم ٣) .

واوضح بيل كيف افاد الصهيونيون من هذه السياسة التي أملتها المصالح البريطانية فتوثقت العلاقات على المستوى الرسمي وغير الرسمي بين البريطانيين والصهيونيين الذين « يؤيدون سيطرة بريطانيا على فلسطين » ، واخذت السلطات البريطانية من ناحيتها تشجع الصهيونيين في آمالهم . ويبدو ان وليام بيل لم يكن مقتنعا بالدوافع الانسانية التي كانت بعض الدوائر البريطانية تحاول التستر وراءها في تبني وجهة النظر الصهيونية ، ولذلك اورد بيل في احد تقاريره (رقم ٣) عبارة كان قد ذكرها اليهودي غير الصهيوني منتفيوري ، ورمى فيها لويد جورج رئيس الوزارة البريطانية بالاغراق في الوهم والخيال في سياسته الصهيونية ، لانه على الرغم من عدم ذهابه الى الشرق فانه كان يسلم بوجهة نظر الصهيونيين المتطرفين « اعتقادا منه بأن اعطاء فلسطين لليهود انما هو توفير للعدالة لجنس طال استعباده » .

وحفلت تقارير بيل المتتالية بالكثير من المظاهر التي تدل على اهتمام بريطانيا بالصهيونية ورغبتها في اتاحة الفرصة لها لتحقيق مخططاتها في فلسطين ، ومن ذلك انه بينما كانت القوات البريطانية بقيادة اللنبي تتقدم في فلسطين كلفت السلطات البريطانية في القاهرة جمعيات ومنظمات الاغاثة اليهودية بالاستعداد للسفر الى فلسطين في أي وقت بدعوى القيام باعمال الاغاثة وتعمير فلسطين (تقرير رقم ٥) . وعندما جاءت اللجنة الصهيونية الى مصر برئاسة حاييم وايزمان في مارس (آذار) ١٩١٨ استقبلتها السلطات العسكرية والمدنية البريطانية في مصر استقبالا حارا (تقرير رقم ٢٠) .

ولما كانت اقامة الوطن الصهيوني في فلسطين تحقق هدفا حيويا لبريطانيا فانها لم تدخر وسعا في سبيل تحقيقه ولجأت الى شتى الوسائل الدبلوماسية التي يمكن ان تحويها جعبتها كدولة عريقة في المجال الدبلوماسي، الى جانب الوسائل العسكرية التي تتمثل في احتلال فلسطين ووضعها تحت ادارة عسكرية بريطانية . وكان في مقدمة الوسائل التي لجأت اليها بريطانيا جعل عبارات تصريح بالفور غامضة بدرجة صار فهمها يستعصي على المسئولين البريطانيين في الشرق ، فقد صرح الكولونيل فيلدنج (من ادارة المخابرات البريطانية في القاهرة) انه لا هو ولا الجنرال كلايتون يفهمان ما تعنيه وزارة الخارجية البريطانية بعبارة « وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين » ، وان المكتب العربي بالقاهرة يجهل ما اذا كان تصريح بالفور يقصد انشاء دولة يهودية او انه يقصد فقط ان يعيد لليهود حق الهجرة الى فلسطين واستيطانها « وبذلك يقيمون وطنا للشعب اليهودي تحت اية حكومة يتقرر اقامتها » (تقرير رقم ٩) . وقد كان هذا الغموض مقصودا ، فقد ارادت بريطانيا اخفاء حقيقة نواياها ، فاخذت تنكر ان دولة يهودية سوف تقام في فلسطين ، وقد فطن وليام بيل الى ان ذلك لا يعبر عن حقيقة النوايا البريطانية ، وانما « تحاول السلطات البريطانية ان تزيل بهذا القول مخاوف العرب ، ولمنع حدوث انفجار عام ضد الصهيونيين وضد السياسة البريطانية نحو اليهود » (تقرير رقم ١٩) . وهذا ما دعا وليام بيل الى الكتابة الى حكومته داعيا الى الاعلان صراحة عن حقيقة نوايا